

تفسير البحر المحيط

@ 185 @ ابن عباس أيضاً : واجعلوا بيوتكم قبل القبلة ، وعنه أيضاً : قبل مكة . وقال مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء : أمروا بأن يجعلوها مستقبله الكعبة . وعن ابن عباس أيضاً وابن جبير : قبله يقابل بعضها بعضاً . وأقيموا الصلاة وهذا قبل نزول التوراة ، لأنها لم تنزل إلا بعد إجارة البحر . وبشر المؤمنين يعني : بالنصر في الدنيا وبالجنة في الآخرة ، وهو أمر لموسى عليه السلام أن يتبوأ لقومهما ويختارها للعبادة ، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء . ثم نسق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ، لأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيماً له وللمبشر به . . .

2) { وَقَالَ مُوسَى رَبِّىَّ إِنِّىَ لَنَكِّىَ آتِىَّتْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأَتْهُ زِينَةً
وَأَمْوَالًا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبِّىَّ إِنِّىَ لَمُبْلَاٌۢ وَأَعَن سَبِيلَكَ رَبِّىَّ إِنِّىَ
أَطْمَسْتُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى
يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا
وَلَا تَتَّبِعِ الْبَاطِلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَاوَزْنَا
بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَمِّ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا
وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَمَنْتُ أَزَّهً لَّإِلَهِ إِلَّا
الَّذِى ءَمَنْتُ بِهِ بَنَوا إِسْرَءِيلَ وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَأَن
وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّىكَ
بِبَدَنِكَ لَتَبُكَ لِكُونٍ لِّمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ
ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ * وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِيقَاتَ صِدْقٍ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلَفُونَ * فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ
الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ
كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَمَنْتْ وَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا

إِلَّا لَّـ فَوَومَ يُونُسَ لَمَّا آمَدُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَظَابَ الْخِزْيِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ
مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْذِرُهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَفَّى إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ
الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ
يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ
فَإِنْ تَنْتَظِرُوا إِنْ زَيَّيْنَا مَعَكُمْ مِّنَ الْأُمْنِ تَنْتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْأُمُومِنِينَ * قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا كُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْأُمُومِنِينَ * وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ
يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ
فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ
اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا
وَمَا أَنَا بِمُخَوِّعٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى
يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ { (2 .

{ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ
عَلَيْ { : لما بالغ موسى عليه السلام في إظهار المعجزات وهم مصرون على العناد واشتد
أذاهم عليه وعلى من آمن معه ، وهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرًا ، وعلى الإنذار إلا
استكبارًا . أو علم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال ، أو علم ذلك
بوحى من الله تعالى ، دعا الله تعالى عيهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول : لعن
إبليس وأخري الكفرة . كما دعا نوح على قومه حين أوحى إليه { وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ
أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا } وقدم بين يدي الدعاء ما آتاهم الله من النعمة
في الدنيا وكان ذلك سببًا للإيمان به ولشكر نعمه ، فجعوا ذلك سببًا لجحوده ولكفر نعمه ،
والزينة عبارة عما ينزى به ويتحسن من الملبوس والمركوب والأثاث والمال ، ما يزيد على

ذلك من الصامت والناطق . قال المؤرخون والمفسرون : كان لهم فسطاط مصر إلى أرض الحبشة
جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت . وفي تكرار ربنا تأكيد للدعاء
والاستغاثة ، واللام في ليضلوا الظاهر أنها لام كي على معنى : آتيتهم ما آتيتهم على سبيل
الاستدراج ، فكان الإتيان لكي يضلوا . ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله : {
فَالْاِتِّفَاطَهُ اِلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا } وكما قال الشاعر
: % (وللمنايا تربي كل مرضعة % .
وللخراب يجد الناس عمراناً .
%) .

وقال الحسن : هو دعاء عليهم ، وبهذا بدأ الزمخشري قال : كأنه قال ليثبتوا على ما هم
عليه من الضلال ، وليكونوا ضلالاً ، وليطبع ا□ على قلوبهم فلا يؤمنوا . ويبعد أن يكون دعاء
قراءة من قرأ ليضلوا بضم الياء ، إذ يبعد أن يدعو بأن يكونوا مضلين غيرهم ، وهي قراءة
الكوفيين ، وقتادة والأعمش ، وعيسى ، والحسن ، والأعرج بخلاف عنهما . وقرأ الحرميان ،
والعربيان ، ومجاهد ، وأبو رجاء ، والأعرج ، وشيبة ، وأبو جعفر ، وأهل مكة : بفتحها .
وقرأ الشعبي بكسرهما ، ولى بين الكسرات الثلاث . وقيل : لا محذوفة ، التقدير لئلا يضلوا عن
سبيلك قاله : أبو علي الجبائي . وقرأ أبو الفضل الرقاشي : إِنْكَ آتَيْتَ عَلَى الاستفهام .
ولما تقدم ذكر الأموال وهي أعز ما ادخر دعا بالطموس عليها